المراهقون والحياة الاجتماعية

الانتماء إلى المجتمع خاصية هامة من خواص الإنسان عمومًا؛ فهو يشعر بضرورة هذا الانتماء حتى يشعر بالطمأنينة والأمن والرضا والسعادة، وتبدأ هذه الميزة بالمران والتدريب منذ الطفولة الأولى (فى كنف الأسرة) وتستمر باستمرار الحياة على هذه الأرض، ونتيجة انتمائه إلى هذا المجتمع فهو يرغب فى التعبير عن ذاته.

ويبدى المراهق تمردًا وعنفًا إذا ما أعقيت هذه الرغبة من قبل الأسرة أو المدرسة أو المجتمع، وما انضمامه إلى شلة الأصحاب التى تشكل له بديلاً للأسرة، إلا المتنفس الذى يجد فيه الراحة النفسية؛ فهى تفهمه أكثر من أسرته المنزلية، ومعها يشعر أنه لم يعد وحيدًا فى أية أزمة تعترضه، والمراهق يأبى مرافقة إلا من يقاربه فى السن، وفى الجسم، والمعايير العلمية والثقافية قد لا تكون ذات أثر كبير بالنسبة للصحبة فى هذه المرحلة، والأولوية هى للسن، وللهوايات المشتركة.

والحياة الاجتماعية فى مرحلة المراهقة، تصبح أكثر اتساعًا وشمولاً وتمايزًا عن حياة الطفولة، التى كانت محدودة بإطار البيت والمدرسة فقط؛ فالمراهق يسعى جاهدًا لاكتساب صداقات جديدة، ويحاول الاحتفاظ بها بقدر استطاعته، ونظرًا لأن الفرد فى مرحلة المراهقة، لم يعد طفلاً يتلقى الأوامر فيطيعها كما هى دون مناقشة، ولا يقبل أى عمل كالجماد، لذلك فالمراهق يشعر بعدم الانتماء وبعدم الرضا عن نوع المعاملة التى يلقاها من أسرته؛ فحياة المراهق الاجتماعية فى مظاهرها الأساسية تمرد على سلطان الأسرة، وقيود المجتمع، ومحاولة لتأكيد الحرية الشخصية، ثم خضوع لجماعة الرفاق، ثم تآلف سوىّ مع المجتمع القائم، ولهذا فحياة المراهق تتأثر فى تطورها ونموها بمدى تفاعلها مع المناخ الاجتماعى عمومًا.

ومن ثم فإن من أهم أعمال الوالدين نقل المراهق انفعاليًا من دائرة المنزل إلى خارجه داخل المجتمع الكبير بما فيه من هيئات متعددة، والمراهق يحارب والديه من أجل أن ينطلق بكل قواه إلى الحياة الاجتماعية؛ فهو لا يريد المال أو مكانة العمل وإنما يرغب فى تقبل الرفاق وثقة الأصدقاء ومحبة الجنس الآخر.

ومهما حاول الوالدان من طرق لإقناع المراهقين بالحجج والبراهين فإنهما لن يستطيعا أن يكسبا معركة مع المراهقين، وإذا حاول الوالدان التمسك بموقفهما وكبت دفعات المراهق فى الاستمتاع بحياته الاجتماعية، فإن الانتقام قد يكون شديداً فقد يتجه المراهق نحو الجناح أو السلبية أو المرض النفسى، إن لديه كل أسلحة الانتقام، فإذا اشتد غضبه وفاض به فقد يقوم بعملة نكراء ويندفع بكل قواه لإحداث القلق لدى الوالدين أو يضعهما فى صورة مخجلة أمام المجتمع.

ومن ثم وجب على الوالدين توخى الحكمة والمرونة، وترك الخيار للمراهق لاختيار الحياة الاجتماعية التى يريدها طالما أنها ليست ضارة، هو يريد أن يكتسب الثقة فى أن يتصرف بسجيته فى حضور الآخرين، وكما يرفض الطعام الذى لا يحبه فإنه لا يندمج فى حديث لا يهمه، ومسئولية الوالدين فى وضع الحدود الخلقية والاجتماعية وإبراز القيم؛ فالمراهق يحتاج لمعرفة ما نحترمه وما نتوقعه، ومن الطبيعى أن يعارض ويقاوم قواعدنا ويختبر حدودنا.

كل هذه أمور شائعة وطبيعية، فالإنسان لا يصل إلى النضج عن طريق الطاعة العمياء للوالدين، أما الحدود فتوضح بطريقة تحفظ للمراهق احترامه لذاته بشرط أن تكون حدوداً مرتكزة على القيم وهادفة إلى بناء السلوك.

ومع التأكيد على حرية المراهق ينبغى التأكيد على حدود تصرفاته وأفعاله بوصفنا فى موضع الحماية له وبوصفنا كباراً أقوياء مررنا بخبرات صقلت أفكارنا وسلوكنا، وإذا كنا نتسامح بالنسبة لمشاعر المراهق وأحلامه ورغباته فإننا نتخذ الحزم عند مواجهة السلوك غير المقبول، نحترم معتقداته واتجاهاته ولا نقلل من شأن أحلامه ورغباته، ولكن نحتفظ بالحق لإيقاف وتوجيه بعض أعماله وبأن نمسك بالحدود والقيم التى تحميه وتحمى المجتمع.

ولكى نساعد على نمو المراهق نمواً سليماً فإننا ننمى شخصيته بحيث يتحمل بنفسه مسئولياته، ويضع بنفسه قراراته ويتقبل نتائجها ويقود سلوكه بمفرده، وبدون هذه المعاناة لا يحدث نمو، ولكى يصبح المراهق راشداً فإن عليه أن يخبر انفعالات الرشد.